

قصص من التراث البجاوي

ترجمة : د. اونور سيدي

Tuhadareeti gaw

ديما البجا يحبو يتكلمو في الكرم والشجاعة والإيثار (الدورأريت) وفي كلامهم دا يحبو يعرفو أقصى درجات الكرم ، وأقصى درجات الشجاعة ، وأقصى درجات الإيثار(الدورأريت) عند الناس .

يحكي انه كان في اثنين عُمد لقبائل في (الاوليب) والاثنين كانوا ناس معروفين أثرياء شبعانيين بهائم ، و عندهم المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، عايشين في رخا أرضهم مطرانه وبهايمهم شبعانة .

وفي يوم من الأيام وبينما هم يتونسو ويتجاذبو أطراف الحديث ، واحد منهم قال: الكرم دا والله شيء مرتبط بالغنى والمال ، الإنسان الغني العندو المال دائماً يكون كريم، ويقدم لضيوفو أحسن الطعام والشراب ، ويبالغ في إكرام الضيف وما يخاف انه ماله ينقص ، لان عنده مال كثير .

والإنسان الماعنده مال ، الفقير ، يكون بخيل ودائماً يخاف ماله دا ينقص عشان كده ما يفرط في ماله وما ينفق لضيوفو كما يفعل الإنسان الغني .

العمدة الثاني ضحك وقال ليهو أبدا الكلام دا ما صحيح ، الكرم حاجة أصيلة في الإنسان ، ربنا خلقها فيهم ، الكريم كريم ولو ماعنده مال ، والبخيل بخيل ولو عنده مال قارون .

هم في كلامهم دا قامو اشارطو ، عشان يثبتو كلام ياتو فيهم هو الحقيقة. وقرروا إن يسافرو سوياً ، ويزورو الناس في قبائلهم ، ويعرفو كيف الكرم دا حاجة أصيلة في الإنسان واللاحاجة مكتسبة بسبب المال .

جهزو جمالهم وربطو عفشهم ، وما شالو أي زوادة ولا مونه ، وقرروا أن ينزلو ضيوفاً للناس في وسط قبائلهم ويشوفو كيف الناس ديل يكرمومهم ، الغني منهم والفقير . بعد يومين من السفر نزلو عند راجل غني ، شبعان بهائم عنده ابل وغنم وضان. وساكن في منطقة مرتفعة باردة مرتاح .

العمد الاثنين وصلو بجمالهم ، وكعادة البجا نزلو في مكان الضيافة ، ويسمى هذا المكان (الشفة أو اللقيب) ، بعيد شوية من مكان الأسر . وهو عبارة عن راكوبة كبيرة مبنية تحت من الحجارة وفوق من خشب جذوع الأشجار الضخمة ، باردة وفيها ظل كفاية .

استقبلهم الرجل الغني بالفرح والسرور والترحاب وأول ما فعل طبعاً بعد ما نزل الحاجات من الجمال ، جاب ليهم عدة القهوة . وولع النار وجهاز الجبنة ثم بعد ذلك بدأ السكناب والترحاب ومجاذبة أطراف الحديث . والسؤال عن البندر والأهل والأخوان .

وفي هذا الأثناء ذهب الرجل الغني إلى بهائمته واختار خروفاً ضخماً سميناً وذبحه ، وأمر بتجهيزه للطعام . وفي موعد الغداء ، احضر الرجل الخروف النجيب جاهزاً ، ووضعته أمام الرجلين ، وطلب منهم أن يتفضلوا ويأكلوا طعام الغداء . وهو رجع إلى أهله لقضاء بعض حاجاته ثم رجع إليهم ولكنه وجد بأنهم لم يأكلوا شيئاً من الخروف ، وسألهم الرجل لماذا لم يأكلوا ؟ فقالوا الحمد لله شبعنا . استغرب الرجل لعدم أكلهم شيئاً من لحم الخروف ، وحمل الخروف إلى بيته، واخذ يقلب اللحم ليعرف ما أكلوا منه ، وجد أنهم قد اكلوا (القلب فقط) . وفي الحال أمر زوجته أن تصنع لهم طعام العصيدة وجهزه واتي به إلى ضيوفه مع اللبن الرايب واللبن البارد (الطازج) ووضعها أمامهم طالباً منهم أن يأكلوا ولكنهم لم يأكلوا وقالوا له الحمد لله نحن أكلنا كفايتنا من اللحم . واحضرو جمالهم وشدو رحالهم إلى وجهة أخرى . وشكرو الرجل آملين أن يعودوا له مرة أخرى .

العمد الاثنين واصلوا سيرهم ، وبعد مسيرة يومين وصلوا لبيت على طرف خور جنب جبل ، وهذا البيت كان لشاب وأمه ساكنين في الحثة دي ، عندهم حوالي سبع غنمايات ، ما عندهم غيرها ، كان الشاب دا يرعى غنمو دي ، ويحلبها في الليل ، وعایش مع أمه على كده .

العمد الاثنين لما وصلوا طوالي جاء الشاب واستقبلهم في مكان الضيافة ، وحضر البن والسكر وعدة القهوة ، وولع النار ، وجاب القربة فيها الموية الباردة وجلس معاهم يرحب بيهم ويتبادل معهم السكناج الجماعة سوو قهوتهم وارتاحو في الظل ، وشربو الموية الباردة .

الشاب اتحرك مشى نحو بيته ، واختار واحدة من أغنامه السمينة وذبحها وشواها (سلات) وجابا ختاها أمام الضيوف ، ورجع إلى بيته لعمل بعض الحاجات . العمد الاثنين ما اكلوا من الغنماية المشوية دي أي حاجة إلا القلب فقط . ولما رجع الشاب إليهم ، وجدهم لم يأكلوا أي شيء قال لهم ما اكلتو أي حاجة ، فقالوا له الحمد لله شبعنا ، شال اللحم إلى بيته وهناك فتش اللحم ليعرف أي جزء اكلوا منه. وجد أنهم قد اكلوا القلب فقط ، وهنا ذهب الشاب إلى غنمه وذبح الست غنمايات الباقية ، واخذ منها القلوب وشواها على النار وجابا للضيوف .

الحقيقة الضيوف ما استغربو ، لأنهم أصلاً كانوا اشترطو أن الكريم كريم والفقر لا يمنع من الكرم والغنى لا يجلب الكرم . ولذا قررو واحد من العمد ديل يزوج ليه من أجمل بناته ، والعمدة الثاني يديه جميع ما يملك من الإبل .

وهكذا تزوج الشاب ابنة العمدة ، وحصل على ثروة من الإبل ، واخذ أمه معه ورحل إلى منطقة (القنب) وعاش مسروراً .